

باب: النظر إلى المرأة قبل التزويج

قال البخاري -رحمه الله- باب النظر إلى المرأة قبل التزويج. قال أبو عبد الله حدثنا مسدد قال: حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن أبيه عن عائشة -رضي الله تعالى عنها-. أنها قالت: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- {رأيتك في المنام يحيء بك الملك في سرقة من حرير فقال لي هذه امرأتك فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي فقلت إن يك هذا من عند الله يمسه}. قال أبو عبد الله حدثنا قتيبة قال: حدثنا يعقوب عن أبي حازم عن سهل بن سعد {أن امرأة جاءت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسى. فنظر إليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فصعد النظر إليها وصوبيه، ثم طأطا رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً حلست فقام رجل من أصحابه فقال: أي رسول الله! إن لم تكن لك بها حاجة فزوجنها فقال: هل عندك من شيء قال: لا والله يا رسول الله! قال: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئاً قال: انظر ولو خاتماً من حديد، فذهب ثم رجع، فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد ولكن هذا إزارى قال سهل ما له رداء فلها نصفه فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما تصنع بإزارك إن يكن عليك منه شيء وإن ليسه لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام فرأه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مولياً فأمر به فدعى فلما جاء قال: مَا ذَرَّكَ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ مَعِي سُورَةٌ كَذَا وَسُورَةٌ كَذَا عَدَّهَا قَالَ: أَتَقْرُؤُهُنَّ عَنْ طَهْرِ قَلْبِكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ: اذْهَبْ فَقَدْ مَلَكتُكُمْ بِمَا مَعَكُمْ مِنَ الْقُرْآنِ}. عقد البخاري هذا الباب لحكم النظر إلى المخطوبة، وكأنه ما صح عنده شيء من الأحاديث التي وردت في ذلك إلا هذه الأحاديث التي ليست صريحة. فالحديث الأول قد تقدم ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه أرباً في المنام، يعني عائشة عرضت عليه في المنام فقيل: هذه امرأتك، يقول: فأكشف فإذا هي أنت. معلوم أن هذه رؤيا، ولكن رؤيا الأنبياء وهي فالله تعالى مثلها له في المنام، أتاه ملك، وقال: هذه امرأتك، فنظر إليها: يعني إلى صورتها في المنام وعُرف بأنه سوف يتزوجها، وحصل ذلك، لأن البخاري يقول: إذا جاز أن ينظر إلى صورتها ولو في المنام دل على أن الذي يخطب ينظر إلى مخطوبته إن تيسّر له ذلك. كذلك في حديث سهل وقد تقدم أيضاً ذكر أن هذه المرأة لما قالت: قد وهبت لك نفسي، وقفـتـ ثمـ إنـهـ نـظـرـ إـلـيـهاـ،ـ وـكـانـ أـيـضـاـ مـتـحـجـبـةـ،ـ وـلـكـ نـظـرـ إـلـىـ هـيـكـلـهـاـ إـلـىـ جـسـمـهـاـ إـلـىـ طـوـلـهـاـ وـقـصـرـهـاـ وـنـحـوـ دـلـكـ،ـ صـدـعـ النـظـرـ فـيهـ،ـ وـصـوـبـهـ:ـ أـيـ رـفـعـهـ ثـمـ خـفـصـهـ ثـمـ اـنـصـرـفـ عـنـهـاـ،ـ فـدـلـ ذـلـكـ عـلـىـ أـنـ يـجـوزـ أـنـ يـجـوزـ أـنـ يـنـظـرـ الـخـاطـبـ إـلـىـ مـخـطـوبـتـهـ.ـ وـقـدـ وـرـدـ أـدـلـةـ فـيـ ذـلـكـ فـيـ حـدـيـثـ:ـ {ـ أـنـ رـجـلـ خـطـبـ اـمـرـأـةـ مـنـ الـأـنـصـارـ شـيـئـاـ}ـ يـعـنـيـ أـنـكـ إـذـ تـزـوـجـهـاـ فـقـدـ لـاـ تـنـاسـبـكـ،ـ إـذـ رـأـيـتـ بـعـدـ ذـلـكـ أـنـهـ ضـعـيـفـةـ الـبـصـرـ أـوـ ماـ أـشـيـهـ ذـلـكـ،ـ إـذـ نـظـرـتـ إـلـيـهاـ قـبـلـ أـنـ تـزـوـجـهـاـ فـقـدـ لـاـ تـنـاسـبـكـ،ـ وـرـأـيـتـ أـنـ بـصـرـهـ لـيـسـ فـيـ بـأـسـ نـاسـبـتـ لـكـ بـعـدـ ذـلـكـ.ـ وـكـذـلـكـ أـيـضـاـ فـيـ حـدـيـثـ جـابـرـ قـالـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ:ـ {ـ إـذـ خـطـبـ أـحـدـكـ اـمـرـأـةـ فـإـنـ اـسـطـاعـ أـنـ يـرـىـ مـنـهـاـ شـيـئـاـ فـلـيـفـعـلـ}ـ يـقـولـ جـابـرـ فـخـطـبـتـ اـمـرـأـةـ فـكـنـتـ أـتـجـأـ لـهـ،ـ حـتـىـ رـأـيـتـ مـنـهـاـ مـاـ دـعـانـيـ إـلـىـ نـكـاحـهـ.ـ وـهـذـاـ دـلـيلـ عـلـىـ أـنـ يـجـوزـ النـظـرـ إـلـيـهـاـ وـلـوـ لـمـ تـعـلـمـ،ـ وـلـوـ وـكـذـلـكـ أـيـضـاـ فـيـ حـدـيـثـ آـخـرـ،ـ قـالـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ:ـ {ـ إـذـ خـطـبـ أـحـدـكـ اـمـرـأـةـ فـلـيـنـظـرـ إـلـيـهـاـ،ـ فـإـنـهـ أـحـرـىـ أـنـ يـؤـدـمـ بـيـنـهـمـ}ـ يـعـنـيـ أـنـ يـؤـلـفـ بـيـنـهـمـ،ـ فـهـذـهـ الـأـحـادـيـثـ وـمـاـ اـسـتـبـطـهـ الـبـخـارـيـ أـيـضـاـ دـلـيلـ عـلـىـ أـنـ يـجـوزـ للـخـاطـبـ أـنـ يـنـظـرـ إـلـىـ مـخـطـوبـتـهـ.ـ فـالـنـاسـ فـيـ هـذـاـ لـهـمـ مـذـاهـبـ:ـ أـجـازـ الـظـاهـرـيـةـ أـنـ يـنـظـرـ إـلـيـهـاـ كـلـهـاـ وـلـوـ إـلـىـ عـورـتـهـ،ـ أـخـذـواـ مـنـ قـوـلـهـ:ـ اـنـظـرـ إـلـيـهـاـ.ـ وـهـذـاـ فـيـ شـيـءـ مـنـ التـوـسـعـ،ـ قـالـوـاـ:ـ لـوـ طـلـبـ النـظـرـ إـلـيـهـاـ لـمـ كـنـ.ـ وـذـهـبـ أـخـرـونـ إـلـىـ أـنـ لـيـزـمـ أـلـيـاءـهـاـ أـنـ يـمـكـنـهـ مـنـ النـظـرـ إـلـيـهـاـ،ـ وـإـنـماـ يـنـظـرـ إـلـىـ صـورـتـهـ،ـ أـوـ يـنـظـرـ إـلـىـ هـيـكـلـهـاـ عـنـ خـفـيـةـ،ـ أـوـ يـنـظـرـ إـلـىـ هـيـكـلـهـاـ وـهـيـ مـتـسـتـرـةـ؛ـ وـذـلـكـ لـأـنـ كـثـيرـاـ مـنـ النـاسـ يـغـلـبـ عـلـيـهـمـ الـحـيـاءـ إـذـ خـطـبـ أـحـدـهـ اـبـنـهـ،ـ فـمـنـ الـحـيـاءـ لـتـكـ الـمـرـأـةـ أـنـ تـبـرـزـ لـهـ،ـ وـأـنـ تـرـيـهـ جـسـمـهـ،ـ وـكـذـلـكـ أـهـلـهـاـ قـدـ لـاـ يـكـوـنـ ذـلـكـ عـادـةـ عـنـهـمـ،ـ وـأـيـضـاـ يـخـشـونـ أـنـهـمـ يـدـونـهـاـ لـهـ،ـ ثـمـ تـنـصـرـ رـغـبـتـهـ عـنـهـ،ـ فـيـكـوـنـ نـظـرـ إـلـيـهـاـ وـهـيـ لـاـ تـحـلـ لـهـ وـمـعـ ذـلـكـ مـاـ تـأـثـرـ بـهـذـاـ النـظـرـ بـلـ لـمـ يـرـغـبـهـ؛ـ فـلـاـ يـمـكـنـونـ مـنـ يـنـظـرـ إـلـيـهـاـ.ـ لـكـ فـيـ هـذـاـ حـالـ لـهـ أـنـ يـتـجـأـ وـيـنـظـرـ إـلـيـهـاـ إـنـ تـيـسـرـ أـمـاـ إـذـ كـانـ لـاـ تـخـرـجـ،ـ بـلـ هـيـ مـحـتـشـمـ دـائـمـاـ،ـ فـلـهـ أـنـ يـرـسـلـ مـنـ يـنـظـرـ إـلـيـهـاـ مـنـ أـهـلـهـ،ـ إـذـ أـرـسـلـ أـمـهـ أـوـ أـخـتـهـ وـنـظـرـتـ إـلـيـهـاـ،ـ أـوـ عـرـفـتـهـ،ـ سـأـلـ اـمـرـأـةـ مـوـثـقـةـ مـنـ تـرـآـهـ فـوـصـفـتـهـ لـهـ،ـ وـذـكـرـتـ لـهـ صـفـقـتـهـ وـجـمـالـهـ يـكـتـفـيـ بـرـؤـيـةـ مـنـ رـأـهـاـ مـنـ يـقـنـعـ بـهـ،ـ فـيـكـوـنـ لـهـ ذـلـكـ.ـ ثـمـ إـنـ هـنـاكـ أـيـضـاـ مـنـ يـتو~سـعـ فـيـ هـذـاـ بـحـثـ إـنـهـ إـذـ خـطـبـهـاـ مـكـنـوـهـ مـنـ أـنـ يـنـظـرـ إـلـيـهـاـ وـأـنـ يـذـهـبـ بـهـاـ أـنـ يـخـلوـ بـهـاـ،ـ وـأـنـ يـذـهـبـ بـهـاـ أـنـ يـخـلوـ بـهـاـ إـلـىـ الأـسـوـاقـ قـبـلـ الـعـقـدـ عـلـيـهـاـ،ـ وـهـذـاـ أـيـضـاـ فـيـ شـيـءـ مـنـ التـسـاـهـلـ؛ـ لـأـنـهـ قـدـ يـقـعـ مـنـهـمـ فـاحـشـةـ قـبـلـ أـنـ يـعـقـدـ عـلـيـهـاـ،ـ سـيـمـاـ إـذـ كـانـ هـنـاكـ خـلـوةـ،ـ الـذـينـ رـخـصـوـاـ فـيـ النـظـرـ اـشـتـرـطـوـاـ لـأـلـاـ يـكـوـنـ هـنـاكـ خـلـوةـ،ـ وـأـخـصـوـاـ النـظـرـ بـمـاـ يـظـهـرـ غـالـبـاـ؛ـ أـنـ يـكـوـنـ عـنـهـاـ أـبـوـهـاـ أـوـ أـخـوـهـاـ أـوـ مـحـرـمـ مـنـ محـارـمـهـ،ـ وـأـنـ يـكـوـنـ النـظـرـ إـلـىـ وـجـهـهـاـ إـلـىـ كـفـيـهـاـ إـلـىـ شـعـرـهـاـ إـلـىـ سـاعـدـيـهـاـ،ـ وـأـنـ يـنـظـرـ إـلـيـهـاـ مـقـبـلـةـ وـمـدـبـرـةـ،ـ إـذـ رـغـبـ فـيـهـاـ أـقـدـمـ عـلـىـ نـكـاحـهـاـ،ـ وـإـنـ لـمـ يـرـغـبـ فـيـهـاـ اـنـصـرـفـ عـنـهـاـ.ـ كـذـلـكـ أـيـضـاـ يـذـكـرـ أـنـ بـعـضـ النـسـاءـ إـذـ طـلـبـ النـظـرـ إـلـيـهـاـ تـصـنـعـتـ وـتـجـمـلـتـ بـشـيـءـ لـيـسـ مـنـ صـفـنـهاـ،ـ فـتـحـمـرـ وـجـهـهـاـ مـثـلـاـ أـوـ تـصـبـعـ شـفـقـتـهـاـ،ـ أـوـ كـذـلـكـ فـيـ زـيـنـتـهـاـ!ـ تـنـزـنـ بـحـلـيـ وـبـلـبـاسـ لـافـتـ للـنظـرـ مـغـيـرـ لـهـيـكـلـهـاـ فـيـنـخـدـعـ بـهـاـ،ـ إـذـ تـزـوـجـهـاـ بـعـدـ ذـلـكـ رـأـيـ أـنـ صـورـتـهـ قـدـ تـغـيـرـتـ عـمـاـ كـانـتـ عـلـيـهـ،ـ فـنـقـولـ:ـ إـنـ هـذـاـ لـاـ يـجـوزـ،ـ وـإـنـ هـذـاـ يـعـتـرـ تـدـلـيـساـ،ـ فـعـلـيـهـاـ أـنـ يـبـرـزـهـاـ أـهـلـهـاـ كـمـاـ كـانـتـ دـوـنـ أـنـ تـغـيـرـ شـيـئـاـ مـنـ مـظـهـرـهـاـ.ـ وـبـكـلـ حـالـ هـكـذاـ جـاءـ فـيـ هـذـهـ الـأـحـادـيـثـ جـوـارـ النـظـرـ إـلـىـ الـمـخـطـوبـةـ،ـ وـلـيـسـ ذـلـكـ لـكـ أـحـدـ،ـ وـإـنـماـ هـوـ لـمـ يـكـوـنـ رـاغـبـاـ،ـ أـمـاـ كـثـيرـ مـنـ النـاسـ يـكـوـنـ قـصـدـهـ التـلـطـلـ؛ـ فـيـأـتـيـ إـلـىـ هـؤـلـاءـ وـيـقـولـ:ـ أـرـوـنـيـ اـبـنـكـمـ،ـ ثـمـ يـأـتـيـ إـلـىـ هـؤـلـاءـ النـسـاءـ،ـ فـإـنـ ذـلـكـ لـاـ يـجـوزـ،ـ فـعـلـيـهـاـ قـصـدـهـ النـكـاحـ وـإـنـماـ قـصـدـهـ أـنـ يـشـعـ نـظـرـهـ مـنـ هـؤـلـاءـ النـسـاءـ،ـ فـإـنـ ذـلـكـ لـاـ يـجـوزـ.ـ فـعـلـيـهـاـ قـصـدـهـ الـشـرـعـيـةـ،ـ وـلـاـ يـتو~سـعـ فـيـمـاـ يـخـالـفـ ذـلـكـ،ـ وـفـيـمـاـ يـهـيـءـ مـنـ شـيـءـ مـنـ التـسـاـهـلـ؛ـ فـقـدـ يـكـوـنـ نـظـرـهـ إـلـيـهـاـ يـسـبـ عـلـاـقـةـ بـيـنـهـمـ وـهـيـ لـاـ يـرـيـهـاـ،ـ فـيـقـعـانـ فـيـمـاـ هـوـ فـاحـشـةـ أـوـ مـنـكـرـ.ـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ،ـ ثـمـ نـبـهـ إـلـىـ أـنـ هـذـاـ أـخـرـ الدـرـوـسـ يـعـنـيـ بـالـنـسـبةـ إـلـىـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ هـنـاـ،ـ حـيـثـ إـنـ الـلـيـلـةـ الـقـابـلـةـ فـيـهـ مـحـاـضـرـةـ لـلـشـيـخـ مـحـمـدـ بـنـ عـثـيمـيـنـ فـيـ الجـامـعـ الـكـبـيرـ،ـ فـنـتـوـقـعـ عـنـ هـذـاـ الدـرـسـ إـلـىـ وـقـتـ آـخـرـ،ـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ،ـ وـصـلـيـ اللـهـ عـلـىـ مـحـمـدـ.